

التعليم ومناهجه في الجزائر خلال العهد العثماني

Teaching and its curriculums in Algeria during the Ottoman period

د. رشيدة شكري معمر*

جامعة البويرة، الجزائر، tavsanciksedri@hotmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/04؛ تاريخ القبول: 2021/12/01؛ تاريخ النشر: 2021/12/31

ملخص:

يتناول هذا البحث التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني، وهذا من خلال التطرق إلى واقع التعليم وأنواعه، والمناهج والوسائل والأساليب المتبعة في التدريس، من مدرسين ومكتبات وكتب، إضافة إلى المؤسسات التعليمية الموجودة آنذاك. وكنتيجة لهذا نجد أن التعليم كان منتشرًا بكثرة في العهد العثماني خاصة الابتدائي، إلا أنه بقي بسيطًا وتقليديًا طغت عليه العلوم الدينية والتصوف. كلمات مفتاحية: التعليم؛ المناهج؛ المؤسسات التعليمية؛ التصوف.

Abstract:

This research deals with teaching in Algeria during the Ottoman period, through to addressing the situation of teaching, his types, and curriculums, and the means used in teaching, such as Teachers, libraries and books, as well as the existing educational institutions.

Consequently, we have found that teaching was widespread in the Ottoman period, especially the primary level, but remained simple and traditional, dominated by religious sciences and mysticism.

Keywords: teaching, curriculums, education institutions, mysticism.

مقدمة:

يعتبر التعليم القاعدة الأساسية لكل تقدم حضاري وفكري وعلى قدر انتشاره

* المؤلف المرسل.

ونوعيته تقاس حضارة الأمم، ففي الجزائر وخلال العهد العثماني، وعلى الرغم من أن التعليم كان يمتاز بأساليب وطرق تدريس تقليدية، إلا أنه كان منتشرًا على نطاق واسع، وهو ما أشار إليه الكتاب الأوروبيون، رغم أنهم أعابوا عليه عدم الاهتمام بالعلوم العقلية.

1- واقع التعليم في العهد العثماني:

لم تخدم الحركة العلمية طيلة العهد العثماني، إلا أن الواقع الثقافي تميز بتقلص الحياة العلمية وبساطة التعليم غالبًا، وعدم الاهتمام بالعلماء، بحيث لم يكن بالجزائر مدرسة للتعليم العالي، مما أدى إلى هجرة الراغبين في العلم إلى المشرق؛ منهم من عاد ومنهم من لم يعد، كما انتشرت خلاله البدع والخرافات، وحلقات الذكر والأوراد، وتعددت الطرق الصوفية التي كان بعضها ينشط بتشجيع من العثمانيين⁽¹⁾.

وعلى الرغم من احترام بعض الحكام للعلماء وحسبهم الأوقاف لصالح العلوم ومراكز العلم، إلا أنهم تركوا ميادين التعليم للمبادرات الفردية، وهذا أدى إلى انتشار الجهل والخرافة والأساطير بين الناس. كما أن البعض منهم تغاضى عن العلماء والوكلاء القائمين على الوقف الذين كانوا يستولون على أموال الأوقاف⁽²⁾، التي لم تسلم من أطماع بعض الأتراك وجشعهم حيث يقول الورتيلاني: «فأصبحوا يأكلون منها وينتفعون بها كالأملأك الحقيقية وهي ليست لهم... ولكنهم تمردوا وطفغوا وجعلوا جميع الخطط الشرعية لهم ظلما وهذا بسبب اندراس العلم وأهله»⁽³⁾.

فنوعية الحكم المتجهة أساسا إلى الجهاد البحري تركت كل ما يتعلق بالعلم والثقافة للمبادرات الفردية، كما أن عدم وضع نظام خاص بالتعليم أدى إلى الانحطاط الفكري الذي شهدته الجزائر، وهو ما أشار إليه أبوراس الناصري في القرن 18م بقوله⁽⁴⁾: «إذ في زمن عطلت فيه مشاهير العلم ومعاهده، وسدت مصادره وموارده

(1)- سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ج1، ص178.

(2)- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ج1، ص318.

(3)- الورتيلاني الحسين، نزعة الأنتظار في فصل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، 1908م، ص110-111.

(4)- أبوراس الناصري، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ط1، تحقيق محمد بوركبة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، 2011م، ص45.

وقلت دياره ومواسمه وعفت أطلاله ومعامله...».

إنّ عدم اهتمام السلطة بالتعليم وضعفه وارتكازه على العلوم الدينية في الغالب، جعل بعض الباحثين الأوربيين عند - تعرضهم للتعليم في الجزائر- يهاجمونه من خلال تركيزهم على الطب والرياضيات والعلوم العقلية⁽¹⁾، فنجد "د.شو" يشير إلى «أن الحياة الفكرية ما زالت كما كانت منذ وقت طويل في حالة متدهورة، والعلوم الطبية والفلسفة والرياضيات...، التي اشتهر بها العرب قديما، أصبحت من العلوم التي لا يعرف عنها شيئا»⁽²⁾. أما "وليام شالر" فيقول: "أن العلوم غير موجودة وإن وجدت فهي ضئيلة فعلم الطب لا يوجد من يمارسه باستثناء المشعوذين وكتاب الحروز"⁽³⁾.

2- مراحل التعليم:

عرف التعليم بصفة عامة انتشار مستويين أساسيين: الأول يتم في الكتاتيب، والمستوى الثاني يتم في المدارس والمساجد في المدن، والزوايا في الأرياف، إضافة إلى مستوى ثالث أي مرحلة التعليم العالي الذي لم يكن هناك فاصل بينه وبين التعليم الثانوي⁽⁴⁾. ويكون في الزوايا العلمية والمساجد الكبرى، والذي لا يصل إليه إلا القليل من الطلبة، حيث يختصون في مختلف العلوم الدينية من تفسير، وفقه وحديث...

2-1- التعليم الابتدائي: يعتبر التعليم الابتدائي المصدر الأول في بناء و تربية الأجيال على قواعد الإسلام وعلى نمط اجتماعي محدد، فالمدرسة الابتدائية آنذاك أدت وظيفة هامة تمثلت في تقليص نسبة الأمية، ففيها يحفظ الطفل القرآن الكريم الذي يعد أساس الثقافة الإسلامية ويتعلم مبادئ الكتابة والقراءة والحساب على يد معلمين ومؤدبين، يتم اختيارهم من طرف الأهالي⁽⁵⁾.

(1)- عبد الحميد مزiane، "المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار"، الثقافة، العدد 22، 1986م، الجزائر، ص09.

(2)- Dr shaw, Voyage dans la régence d'Alger, trad de l'Anglais par J.Mac.Carthy 2ème ed. Bouslama, Tunis, 1980, p78.

(3)- وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تع. إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص81.

(4)- Boyer(P), la vie quotidienne à Alger a la veille de l'intervention française, Imp, nationale Monaco, 1964, p200.

(5)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص279 و332.

لقد كان التعليم الابتدائي منتشرا بصورة كبيرة خلال العهد العثماني، وقد أشار إلى ذلك كتاب أجنب، مثل الجنرال "دوماس"، فمن خلال اتصالاته بالأهالي تبين له أن نصف السكان من الذكور يعرفون القراءة والكتابة. كما علّقت "إيفون ثوران" بأنه: «إن لم يكن كل الأطفال قد تعلموا القراءة والكتابة فإنهم جميعا قد مروا بالمدرسة الابتدائية "الكتاب"....»⁽¹⁾.

ففي هذه المرحلة يتلقى التلميذ حفظ القرآن وتعلم الحروف الهجائية⁽²⁾ وبعض مبادئ الحساب والقراءة⁽³⁾، وشعائر الدين وأركان الإسلام، فإذا كان من الفقراء يكتفي بهذا القدر من التعليم، أما إذا كان من الأغنياء فيواصل تعليمه للمرحلة الثانوية⁽⁴⁾، بالمدارس لدراسة الفقه والتوحيد والنحو على يد العلماء، أو يبقى لسنوات أخرى بالكتاب لحفظ القرآن عن ظهر قلب⁽⁵⁾، هذا بالمدن. أما بالأرياف فيلتحق بالزوايا لإكمال لإكمال دراسته الثانوية⁽⁶⁾ أو يصبح مؤذنا أو يدخل عالم التجارة مع أهله أو ينظم للجيش⁽⁷⁾، أو يعمل على تحصيل الضرائب ومسك الحسابات في مكاتب الجمركة⁽⁸⁾.

أما عن الفئة العمرية التي تلتحق بالكتاب، فهي ما بين سن الرابعة والسادسة، ويتراوح عدد التلاميذ في الكتاب الواحد ما بين 15 إلى 20 صبيا⁽⁹⁾ وقد يصل إلى 30 صبيا، صبيا، على حسب كثافة سكان الحي وسمعة المؤدب. والملاحظ أن هذا التعليم كان مخصصاً للذكور غالبا. أما البنات فكان البعض فقط من يسمح بتعليمهن تعليما

(1)- إيفون ثوران، مجاهبات ثقافية في الجزائر المستعمرة (1830-1850م) ترجمة محمد عبد الكريم اوزغلة، دار القصة، الجزائر، 2005م، ص135.

(2)- محمد سي يوسف، "نظام التعليم في بلاد الزواوة بإيالة الجزائر خلال العهد العثماني" الحياة الفكرية في الولايات العربية، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق، تونس، 1990م، ج1، ص193.

(3)- Boyer (P), op.cit, p199.

(4)- سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م، ص165.

(5)- Boyer, op.cit, p202.

(6)- العيد مسعود، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، سيرة العدد 03 1980 م قسنطينة، ص62.

(7)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص332.

(8)- Dr Shaw, op.cit, p78,79.

(9)- Boyer, op.cit, p201.

متواضعا⁽¹⁾، في نفس الكتاتيب تحت إشراف النساء، ولا يتعدى المستوى الابتدائي⁽²⁾، وهناك من الأهالي من كان يجلب مؤدبا معروفا بصلاحه وعلمه لتعليم البنات في البيوت⁽³⁾ وغالبا ما يكون طاعنا في السن أو أعمى⁽⁴⁾. وكانت المدة التي يقضيها التلميذ للتحصيل المعرفي في هذه المرحلة تتراوح ما بين ثلاث إلى أربع سنوات⁽⁵⁾، وقد يبقى في الكتاب حتى سن 14⁽⁶⁾.

2-2- التعليم الثانوي: كان يتم في المساجد والمدارس والزوايا، وإذا كان الطالب فقيرا أو قادما من مكان بعيد يمنح له سكن في الزاوية المعدة لاستقبال الطلبة الفقراء والغرباء⁽⁷⁾. فمثلا بمدينة الجزائر وجدت زاوية واحدة مخصصة للطلبة الفقراء المقيمين بالمدينة وخمسة زوايا مخصصة لإقامة الطلبة الوافدين عليها⁽⁸⁾، منها ثلاث زوايا لطلبة الناحية الغربية، وزاويتين لطلبة الناحية الشرقية⁽⁹⁾.

فعدد الطلبة في هذا المستوى كان يقدر ما بين 600 إلى 800 طالب في كل بايلك⁽¹⁰⁾، يقضون ما بين ثلاث إلى ست سنوات حسب رغبة كل طالب في البقاء لنيل المزيد من المعارف⁽¹¹⁾، ثم يتخصص في علم محدد يريده في التعليم العالي. وقد يصل مجموعهم إلى نحو 03 آلاف طالب يتلقون تعليمهم الثانوي مجانا أي على حساب نفقة الأوقاف⁽¹²⁾، فالطالب لا يدفع بل يُدفع له مقابل تعليمه. فمثلا بقسنطينة كان يتلقى 150 طالبا

(1)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، ص333-335.

(2)- عمارة عمورة، الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج2، دار المعرفة، الجزائر، ص139.

(3)- سعد الله، محاضرات...، ص162. op.cit, p205. Boyer (P).

(4)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، ص317.

(5)-Dr Shaw, op.cit, p78.

(6)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، ص332.

(7)- نفسه، ص343.

(8)-Saidouni Nacereddine, L'algérois rural à la fin de l'époque ottomane de (1791-1830), Dar al-Gharb al-Islami, Beyrouth, Liban, 2001, p317.

(9)- سعد الله، محاضرات...، ص164.

(10)- Emerit (M), l'état intellectuel..., p06.

(11)- Saidouni, op.cit, p301 et 319.

(12)- سعد الله، محاضرات...، ص163-165.

منحة سنوية مقدرة بحوالي 36 فرنكا⁽¹⁾، من مجموع 700 طالب أغلبهم من سكان الأقاليم البعيدة يقطنون في 16 زاوية⁽²⁾. كما يحصل الطلبة بمدينة الجزائر كل شهرين على 102 محبوب⁽³⁾.

يتلقى الطالب في هذه المرحلة دروسا في التفسير والقرآن والحديث والسيرة النبوية⁽⁴⁾، واللغة والأدب النحو والصرف، والميراث والحساب. وفي نهاية تعليمه ينال إجازة تشهد له أنه تلقى جميع العلوم في نطاق تخصصه، وتعطى له شفوية وليست مكتوبة، تؤهله لتولي وظائف كمقرئ بالجامع أو مؤدب أو كاتب⁽⁵⁾، وأكثرهم موهبة يتولى يتولى التدريس بالمساجد والمدارس، ومن لهم خط جميل يتولى نسخ القرآن الكريم⁽⁶⁾.

2-3- التعليم العالي: تميز هذا الطور من التعليم بغياب الهياكل الخاصة به رغم أن البعض أشار إلى وجود ثلاث جامعات في الجزائر لدراسة المذهب المالكي⁽⁷⁾، لكن الحقيقة أنه لم تكن هناك جامعة واحدة بالمعنى المتعارف عليه؛ فالمسجد الكبير رغم كونه أشهر مساجدها، إلا أن هذا لم يؤهله ليصبح جامعة كالأزهر الزيتونة والقرويين، رغم أن الدروس التي قدمت فيه كانت تضاهي وقد تفوق أحيانا دروس الجامع الأموي بدمشق والحرمين الشريفين، فدروس سعيد قدورة وعلي الأنصاري وأحمد بن عمار التي كانت تمتاز بالعمق والإحاطة والرقى، إضافة دروس إلى سعيد المقرئ بتلمسان، وأبي راس الناصري في معسكر، وعبد الكريم الفكون وأحمد العباسي بقسنطينة، وأحمد البوني في عنابة⁽⁸⁾.

فمن أجل المزيد من العلم كان الطلبة يقصدون المدارس البعيدة والزوايا والمساجد التي يشتهر بها المدرسون، مثل الجامع الكبير، زاوية علي بن الشريف⁽⁹⁾ ومدرسة مازونة التي كانت

(1)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي....، ج1، ص333.

(2)- سعد الله، محاضرات....، ص164.

(3)- Tachrifat, recueil de notice historique sur l'administration de l'ancien régence d'Alger, pub par Devoulx, imprimerie du gouvernement, Alger, 1852, p39.

(4)- سعد الله، محاضرات....، ص165.

(5)- Emerit (M), Op .cit, p06.

(6)- Boyer, op.cit, p200.

(7)- Venture de paradis, Alger au XVIIIe siècle (1788-1790), editions grand livres, Alger, 2006, p216.

(8)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي....، ج1، ص273.

(9)- نفسه، ص343.

ملتقى العلماء ومقرا للمبادرات الفكرية، درّس بها علماء بارزون مثل أبي راس الناصري⁽¹⁾ وقد اشتهرت بوجه خاص بعلم الفقه والحديث وعلم الكلام⁽²⁾، ومناقشة بعض المسائل الفقهية والقانونية، فكان إذا أريد إظهار سعة علم شخص ما قيل إنه درس بمازونة⁽³⁾؛ لذلك كان يقصدها الطلبة من كل الجهات حتى من الأسرة العلوية بالمغرب⁽⁴⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن التعليم العالي لم يكن منتشرا بكثرة إلا في الجامع الكبير بمدينة الجزائر وتلمسان وفي زاوية سيدي علي الشريف وبالخنقة والقلعة ومازونة، فعدم وجود مراكز للتعليم العالي أدى إلى خيبة أهالي الطلبة ممن يرغب في التعليم العالي؛ لذلك نجدهم يركنون للخممول والاكتفاء بالقليل والقلة منهم كانوا يرتحلون لطلب العلم في العالم الإسلامي⁽⁵⁾. وهذا الأمر يفسره قول ابن ميمون: «أن الأزهر الشريف وجامع القرويين وجامع الزيتونة وجامع الأمويين والمسجد الأقصى والمسجد النبوي أبت الطبيعة أن تجعل أحدهم في حوزة القطر الجزائري، حتى ينبغ فينا رجال علم وأدب، فيكون لهم نتاج يستوجب من علماء الأقطار هز الرؤوس»⁽⁶⁾.

أما المواد المدرّسة في هذه المرحلة فكانت النحو، الحساب، التفسير، التاريخ، التوحيد، علم الكلام، أصول الفقه، والحديث، البلاغة، أما العلوم التجريبية فلم تكن تدرس رغم وجود بعض المتطبيين والصيدالة⁽⁷⁾.

3- مناهج ووسائل التعليم:

(1)- رشيدة شدرى معمر، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر-فترة الدايات 1671-1830م، مذكرة ماجستير-ماجستير-تاريخ حديث، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2006، ص60.

(2)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص285.

(3)- Daumas (E), Mœurs et Coutumes de l'Algérie, Intrd. Abd-delkader djeghloul, Ed. ENEP, Alger, 2006, p 129 marge.

(4)- رشيدة شدرى معمر، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية "1518-1830م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر02، 2018م، ص295.

(5)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص335.

(6)- ابن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م، ص80.

(7)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص351-354.

3-1- مناهج التعليم:

أ- التعليم الابتدائي: كان مناهج الدراسة في الكتاب نفسه سواء في المدينة أو الريف، ونتيجة غياب الكتاب أو ندرته اعتمد على التلقين والحفظ الذي كان له دور هام في عملية التعليم من خلال تحفيز ذاكرة الطفل، الذي يبدأ تعلم الحروف الهجائية عن طريق الكتابة في الألواح المصلصلة والقلم القصبي⁽¹⁾، اعتمادا على المداد المستخرج من صوف الضأن بعد حرقه⁽²⁾، بحيث ينقل التلاميذ ما كتبه المؤدب على لوحة، والتلميذ الذي يتعلم معنى الكلمة وطريقة كتابتها يعلمها لبقية التلاميذ⁽³⁾، وتتم القراءة بصوت مرتفع للآيات القرآنية، وبعد حفظ التلميذ لما في اللوحة يقوم بترتيلها على مسامع مدرّسه وهو جالس أمامه على حصيرة⁽⁴⁾.

كانت طريقة التعليم في هذه المرحلة بسيطة، حيث يجلس المؤدب في صدر الكتاب متربعا على حصير، والتلاميذ متربعون حوله في شكل دائري، حاملا بيده عصا طويلة، يستعين بها للحفاظ على النظام وإثارة انتباه التلاميذ وليس للعقاب^(*). أما عن أوقات الدراسة فكان التلميذ يذهب مرتين في اليوم إلى الكتاب صباحا ومساء، وكل فترة يمكث فيها حوالي ساعتين، كانت الفترة الصباحية للاستظهار والمحو والكتابة نتيجة صفاء ذهن الطفل صباحا أما الفترة المسائية فكانت للحفظ، أما العطلة فتكون يومي الاثنين والجمعة⁽⁵⁾.

(1)- ابن ميمون، المصدر السابق، ص58.

(2)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، ص339.

(3)- شالر، المصدر السابق، ص82.

(4)- حليبي عبد القادر، مدينة الجزائر ونشأتها وتطورها قبل 1830م، المطبعة العربية، الجزائر، 1972م، ص272.

(*) العقوبة بالكتاب تكون عن طريق التأنيب بالكلام أو بتنظيف المكان، أو (الفلفة) تكون على أصابع اليد أو على الرأس، أو القدمين وهو أمر نادر (في حال السرقة). والملاحظ أن أهل التلميذ كانوا يلومون أبناءهم؛ لأن المؤدب محل ثقة، إلا إذا تكررت الشكاوى ضده فيعفى من مهامه من طرف الأولياء. (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج1، ص341). وحسب "بوي" كان يمنع ضرب الأطفال تحت سن 10 سنوات. (Boyer, op.cit, p201)

(5)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص339، 340.

فهذه الطريقة جيدة ومناسبة تراعي تطورات وقدرات التلميذ على القراءة والكتابة، وقد أشاد بها كثيرون، منهم "شالر"؛ لوجود المزج بين تعلم القراءة والكتابة وجمال الخط العربي⁽¹⁾، إضافة إلى تدريب الذاكرة⁽²⁾.

وإذا حفظ الطفل القرآن يُحمل على حصان مزين ويطوف به زملاؤه في الشارع معلنين نجاحه، ويتلقى والداه التهاني والهدايا⁽³⁾، وربما يُعد هذا حافزا لبقية الصبية ليحذوا حذوه.

ب- التعليم الثانوي والعالي: لم يكن هناك فصل بين أطوار التعليم الثانوي والعالي⁽⁴⁾، سواء في الزاوية أو المدرسة أو المسجد رغم وجود فرق في مستوى التعليم بين طلبة الريف وطلبة الحواضر، بحكم توفر هذه الأخيرة على الكتب وحركة العلماء الذين كثر الاحتكاك والتنافس بينهم. وقد كان التعليم في هذه المرحلة يركز على الشرح والإملاء والمناقشة، فكان لكل مدرّس "مسمع" يقرأ له نصا أو جزءا من الكتاب المراد دراسته، ثم يقوم بشرحه في جلسة واحدة أو عدة جلسات، ويختم ذلك بإملاء ملخصات على الطلبة، وبهذا يكونوا قد أسهموا في حركة التأليف المنتشرة آنذاك⁽⁵⁾.

كان التعليم في هذه المرحلة يقوم على الحفظ واستظهار المتون نظما وشعرا، إضافة إلى تدريب الطلاب على الفهم والبحث والمناقشة؛ فأثناء الدرس كان الطلبة يجتمعون في حلقة حول شيخهم الذي يقوم بالشرح والإملاء وطرح بعض الأسئلة على الطلبة، كما يتلقى هو بعض الأسئلة منهم بعد انتهاء الدرس^(*). والملاحظ أن التعليم الثانوي والعالي لم يكن يراعي مستوى الطالب وقدرته، فقد يحضر في الدرس الصغير مع الكبير والذكي مع الغبي⁽⁶⁾.

(1)- شالر، المصدر السابق، ص82.

(2)- Boyer, op.cit, p200.

(3)- Dr Shaw, op.cit, p78.

(4)- Emerit, op.cit, p04.

(5)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ص345-349.

(*) وهي طريقة تعليمية أرساها "أبو عبد الله الشريف التلمساني" في القرن 14م ليتوارثها العلماء جيلا بعد جيل؛ لهذا نجد الجزائريين يعيرون على طلبة فاس اعتمادهم على الحفظ والنقل وعزوفهم عن إعمال العقل وتدريبه. العيد مسعود، المرجع السابق، ص66.

(6)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...ج1، ص348.

أما البرنامج الدراسي فيضعه المدرسون؛ فنجد منهم من يلقي دروسه مرتين في اليوم⁽¹⁾، ومنهم من لا ينقطع عن التدريس طوال اليوم إلا في أوقات الصلاة والآذان⁽²⁾، ومنهم من كان يدرس ثلاث مرات في اليوم من شروق الشمس حتى الساعة 11 ثم من الساعة 12 حتى العصر، ثم من الساعة الثالثة والنصف حتى المغرب⁽³⁾. ومنهم من يوزع الدروس على فصلين الشتاء والصيف؛ حيث تدرس العلوم النقلية في الشتاء والعلوم العقلية في الصيف⁽⁴⁾، أو يوزعها على فصل الشتاء والربيع، ولكنه لا ينقطع عن التعليم في بقية الأيام، بحيث لا يكون بشكل غزير مثلما كان الحال في قسنطينة⁽⁵⁾. أما البعض منهم فكان يعطي دروسه في الشتاء، وفي الصيف يتفرغ لمراجعة وتحضير ما يلقيه في الشتاء⁽⁶⁾. وبهذا لم يكن هناك يوم دراسي معين تعقبه عطلة معينة للطلبة، فكل أستاذ كان حرا في توزيع دروسه⁽⁷⁾.

بينما في الريف أين تتواجد الزوايا بكثرة، فقد كان يتم تقسيمهم إلى مجموعتين وكل مجموعة بها ثلاث فئات؛ المجموعة الأولى تضم فئة المبتدئين (من ختم سورة البقرة)، وفئة المتوسطين (من ختم البقرة وشرع في الإعادة)، وفئة المنتهين من ختم القرآن كله وبقي له الرواية والتجويد. أما المجموعة الثانية فتضم كلا من فئة الأجرومية ومتن ابن عاشر، وفئة القطر والرسالة، وفئة الألفية⁽⁸⁾.

أما نظام الامتحانات فلم يكن موجودا، فكان الأستاذ يكلف الطالب المتفوق في دروسه بمساعدة غيره على الدرس الجديد وأخذ فكرة عنه قبل أن يقوم هو بشرحه، أو

(1)- نفسه ص344.

(2)- عبد الله محمد ابن مريم التلمساني، مريم التلمساني محمد، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعلبية، الجزائر، 1908، ص145.

(3)- Vayssettes (E), Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517 à 1837 présentation de Ouarda Siari Tengour, Ed Bouchene, Alger, 2002, pp135-136.

(4)- العيد مسعود، المرجع السابق، ص68.

(5)- الورثياني، المصدر السابق، ص686.

(6)- أبو عبد الله بن محمد بن إدريس الكتاني، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء بفاس، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الرباط، المغرب، ج1، دون تاريخ، ص36.

(7)- العيد مسعود، المرجع السابق، ص68.

(8)- محمد سي يوسف، المرجع السابق، ص199.

أن يعيد الدرس الذي ألقاه الأستاذ، وهو ما يؤدي إلى رفع مستوى العناصر الضعيفة من الطلبة، وتدريباً له على إلقاء الدروس والتعود عليها. بعدها يقدم له الأستاذ إجازة لتدريس علم معين، أو عدة علوم أي إجازة عامة لتدريس كافة العلوم⁽¹⁾، ومنهم من كان يجاز في سنتين ومنهم من يجاز بعد عدة سنوات كل حسب قدراته^{(2)(*)}.

2-3- وسائل التعليم: لا يمكن أن يقوم التعليم إلا في حال توفرت له الوسائل الضرورية، مادية كانت أو بشرية.

أ- المعلمون: المعلمون صنفان معلمو المدن ومعلمو الأرياف وكلاهما درجات، فهو مؤدب إذا درّس الأطفال الصغار، ومعلم أو مدرّس إذا درّس الفتيان، وأستاذ أو شيخ إذا درّس الشبان. فالمؤدب بالمدينة يختاره سكان الحي، أما بالريف فيختاره أهل القرية أو الدوار⁽³⁾، أو يختاره شيخ القبيلة أو الجماعة⁽⁴⁾. وكان يشترط أحياناً في المؤدب بالمدينة أن يكون عثمانياً أو أندلسياً أو من الأشراف، وهذا من طرف أصحاب الحبوس على الكتاتيب، كما كان يشترط فيه الزواج، حسن الأخلاق، حفظ القرآن والمعرفة بالكتابة والقراءة. وعلاوة على المهام التعليمية كان المؤدب بالريف يستفتى من طرف الناس في أمور دينهم وفي كتابة العقود وحل خلافاتهم⁽⁵⁾ وإمامة الصلاة والعمل كمؤذن، وهو ما جعله بالريف أكثر صلة بالأهالي على عكس المدن⁽⁶⁾.

أما المدرس بالمدينة فكان يعين من طرف الباشا أو الخليفة بدار السلطان، أو من البايات أو قائد الدار بالأقاليم. وظيفة المدرس كانت غير مستقرة، فبقاؤه فيها مرهون

(1)- العيد مسعود، المرجع السابق، ص 67.

(2)- عبد المجيد مزبان، المرجع السابق، ص 18.

(*)- تعطى الإجازة شفوياً. أما الإجازة المكتوبة فنادر ما كانت تمنح للطلاب، ففي البداية كانت مقيدة بعلم أو كتاب معين، ثم أصبحت تعطى بسهولة بعد ضعف التعليم لمن يستحقها أو لا يستحقها بل أصبحت تعطى بالمراسلة دون أن يرى الأستاذ الطالب. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 348.

(3)- نفسه، ص 321، 322.

(4)- Emerit, op.cit, p05.

(5)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 322.

(6)- سعد الله، محاضرات، ص 162.

بسمعته بين الناس ووفرة الوقف المخصص لذلك وبالظروف السياسية⁽¹⁾. وعلى الرغم من أن المدرسين لم يكن لهم تدخل في الأمور السياسية إلا أن السلطة لا تجرؤ على طردهم من المدارس دون سبب خوفي من ردة فعلهم^{(2) (*)}.

أما التعليم العالي فقد اختص به بعض القضاة والمفتين الذين أضافوها إلى وظائفهم الرسمية، وغالبا يعتبرون ذوي الخبرة والتبحر في العلم ويعطون الإجازات⁽³⁾، كما زاوله بعض الأساتذة المتفرغين للتدريس بصورة دائمة، أو من طرف أساتذة متطوعين لا يتقاضون راتبا تقريبا لله، أو لأن لهم أملاك تغنيهم عن أموال الوقف، أو أن لهم مهنا أخرى كالتجارة⁽⁴⁾، مثل عبد الكريم الفكون (الجد) الذي كان له دكان لممارسة التجارة⁽⁵⁾، وسعيد قدورة الذي كان غنيا ولا ينفق على نفسه من الأوقاف، بل كان يدفع يدفع من ماله الخاص لمن ينوب عنه في الخطابة والصلوات⁽⁶⁾. كما تولى التدريس العالي بعض الأساتذة الزائرين المحليين مثل الورثيلاني. أو بعض الأساتذة الزائرين من الأقطار العربية.

كان الطلاب هم من يختارون الأستاذ، فهم مقياس كفاءة الأستاذ وأهليته للمنصب؛ لذلك كان الأستاذ يخشى التصدي للتعليم، لأن انصراف الطلبة عن درسه

(1)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص323.

(2)- Emerit, op.cit, p09.

(*) كان على المدرس بالمدينة تجاوز خصومه ومنافسيه ونيل رضا الباشا أو الباي للحصول على المنصب، لذلك كانت تتوجب فيه شروط كثيرة مثل حصوله على مستوى عال من التعليم، كما أن اختياره من طرف السلطة بالمدينة أخضعه لرقابة وقيود مثل باقي الموظفين الرسميين، عكس مدرسو الأرياف فهم أكثر حرية؛ لأنهم لا يخضعون لتعيين رسمي من السلطة (الحاكم) ورزقهم لا يرتبط بالوقف فقط التابع للزاوية، فهذه الأخيرة كانت لها مصادر دخل أخرى كالوعدة، الزيارة، الزردة، السفارة، وغيرها. كما أن دروسهم كانت تتم في زوايا المرابطين الذين كثر التنافس بينهم، وهذا من خلال اتخاذ زواياهم وسيلة لجلب الناس والطلبة ونشر مذهبهم الصوفية وكسب المال. سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص318 و323.

(3)- نفسه، ص324.

(4)- العيد مسعود، المرجع السابق، ص67.

(5)- عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تج. وتع. أبو القاسم سعد الله، الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م، ص47.

(6)- ابن المفتي حسين بن رجب، تقييدات بن المفتي، تحقيق فارس كعوان، بيت الحكمة، الجزائر، 2009م، ص97.

يعني عدم أهليته للتعليم ويعيش طول حياته مغموراً⁽¹⁾، وقد كان الفرق بين مدرس وآخر لدى الطلبة هو سيطرة المدرس على مادته وفصاحة لسانه أو قوة شخصيته وإخلاصه في مهنته، فهذه الأمور هي من تحدد بقاء الطلبة أو تغييرهم للمدرس⁽²⁾.

فكان العالم إذا تولى التدريس وذاع صيته قصده الطلبة من كل حذب وصوب وتزاحموا على حلقاته، مثل محمد بن علي أهلول المجاجي الذي كانت تشد إليه الرحال حتى من مصر وتونس وغيرها⁽³⁾. والملاحظ أيضاً أن الطلبة لم تكن لديهم نزعة إقليمية أو قبلية، بل كانوا يأخذون العلم أينما وجدوه، وأحياناً يضحون بمالهم وصحتهم وعائلتهم من أجل طلب العلم⁽⁴⁾، ومنهم من طلق زوجته حتى يتفرغ للعلم، مثل الشيخ أحمد التيجاني الذي رأى أنها شغلته عن العلم والاجتهاد⁽⁵⁾.

ومن العلماء الذين انقطعوا للتعليم ووهبوا حياته له نجد "أبوراس الناصري" الذي يقول: «فانتقلت إلى معسكر، وشمريت ساق الجد للتدريس ليلاً ونهاراً، وداومت على ذلك ستاً وثلاثين سنة، متصلة ما بطلت فيها يوماً واحداً إلا يوم الاثنين لأمر مهم رباني»⁽⁶⁾. ومنهم من كان يرفض الوظائف الرسمية ليتفرغ للعلم مثل الشيخ أمحمد بن حالة (ولد سنة 1780م) الذي رفض وظيفة عرضها عليه باي قسنطينة لما ذاع صيته فاعتذرله قائلاً: "من للزوايا التي أنشأتها"، وكان يشرف على نحو 80 إلى 100 طالب، وينفق عليهم من الأراضي التي استصلحها⁽⁷⁾.

ب- الكتب والمكتبات: كانت الكتب تنتج محلياً عن طريق التأليف أو النسخ، كما كانت تحمل من مصر وإسطنبول والحجاز، والأندلس بعد هجرة أهله إلى الجزائر،

(1)- العيد مسعود، المرجع السابق، ص 67.

(2)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 1، ص 344.

(3)- العيد مسعود، المرجع السابق، ص 61 و 67.

(4)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 1، ص 32.

(5)- الكتاني، المصدر السابق، ص 14، 15.

(6)- الناصري محمد أبو راس، فتح الإله ومنتها في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح. محمد بن عبد الكريم، م.و.ك، الجزائر، 1986م، ص 22.

(7)- يحيى بوعزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م، ج 1، ص 137.

وشكلت بعض المدن مثل تلمسان، قسنطينة، بجاية، مازونة، الجزائر العاصمة، معسكر أكبر مركز لحركة التأليف والنسخ والاهتمام بجمع الكتب وتصنيفها وإنشاء المكتبات، وقد أشار "التمغروطي" إلى كثرة الكتب بمدينة الجزائر في القرن 16م بقوله «الكتب فيها أوجد من غيرها من بلاد إفريقيا، وتوجد فيها كتب الأندلسيين كثيرا»⁽¹⁾.

إضافة إلى هذا اعتبرت الزوايا مخازن للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم نتيجة اهتمام شيوخها وطلابها بالتعليم والنسخ ونقل للكتب والجمع والشراء⁽²⁾، لكن هذه الكتب أغلبها ضاع أو تم تهريبه إلى أوروبا بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وتجدر الإشارة إلى أن المكتبات في الجزائر انقسمت إلى خاصة وعامة؛ فالخاصة كانت تابعة للأسر العلمية أما المكتبات العامة فكانت تابعة للمؤسسات التعليمية، وهي مفتوحة للطلبة ولجميع القراء بشتى شرائحهم الاجتماعية⁽³⁾، أشهرها مكتبة الجامع الأعظم التي وجد بها نحو 300 مجلد، بعدما تم نهب الكثير منها من طرف بعض العلماء، نتيجة إهمال المفتي أحمد قدورة لها⁽⁴⁾.

أما ببائلك الشرق فكان سكان قسنطينة مولعين بنشر الكتب واقتناء المخطوطات، بها 17 مكتبة خاصة غنية بالكتب، فعائلة الفكون وحدها كانت تملك مكتبة بها 2500 مجلد، ووصل عدد المكتبات ببائلك الغرب 20 مكتبة^(*) أشهرها مكتبة

(1)- علي بن محمد الجازولي التمعروطي، النفحة المسكية في السفارة التركية 1589، تقديم سليمان الصيد، دار بوسلامة، تونس، 1988م، ص90.

(2)- يحيى بوعزيز، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م"، الثقافة، العدد 63، 1981، الجزائر، ص19.

(3)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص296.

(4)- ابن المفتي، المصدر السابق، ص100.

(*) - ازداد عدد الكتب بفضل عملية النسخ والتأليف التي شجعها الباي محمد الكبير وفي هذا يقول ابن سحنون «كم تأليف نشأ بأمره ونال مؤلفه به وافر بره»؛ حيث كافأ بـ 70 دينارا بعد جمع فتاوى العلماء في جوائز الملوك، وكافأ ابن سحنون بـ 10 سلطاني لاختصاره كتاب الأغاني، و50 سلطاني لجمعه طب القاموس، كما شجع العلماء على التأليف، حيث أمر كاتبه ابن زرفة بتدوين أحداث فتح وهران سنة 1792م. - أحمد بن سحنون الراشدي، الفجر الجماني في ابتسام الفجر الوهراني، تج. وتقديم المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1979م، ص145.

المدرسة المحمدية التي أوقفها الباي محمد الكبير بمعسكر⁽¹⁾، كما توجد بمعسكر مكتبة أبوراس الناصري المسماة مكتبة "المذاهب الأربعة" التي حبسها عليه أحد بايات وهران. إضافة إلى هذا كان الناس مهتمين بحبس الكتب على المراكز التعليمية تقريبا إلى الله حتى أنه كان من يقف كتابا في سبيل الله وهو جاهل بمحتواه⁽²⁾.

ج- أجور المدرسين: حرص معظم المعلمين على تأمين قوتهم وكسب معاشهم سواء عن طريق الأوقاف أو عن طريق ما يدفعه الأهالي كأجور شهرية، وهدايا وعطايا المحسنين من حين لآخر⁽³⁾.

وكان المؤدّب يحصل على راتب غير قار، يختلف حسب حالة أولياء التلاميذ المادية، وعندما يحفظ التلميذ القرآن الكريم يأخذ المؤدّب أجرا إضافيا⁽⁴⁾، ففي قسنطينة كان يحصل على 30 فرنكا سنويا؛ 14 فرنكا على كل طفل و 05 فرنكات في شكل هدايا الأعياد و 11 فرنكا على كل فترات تكوين الطفل⁽⁵⁾. أما المدرسون بالمدن فكانوا يتقاضون راتبا سنويا من الأوقاف^(*) يتراوح ما بين 100 إلى 200 فرنك، مع السكن مجانا. إضافة إلى هذه الأجور كان يُقدّم للمدرّس الماء والزيت للمصباح، والحلويات في رمضان، وملابس العيد والطعام⁽⁶⁾، كما يحصلون في المناسبات على هدايا وعطايا من السلطة. فمثلا عند عند ختان ابن الداى مصطفى منح أهل المدارس والزوايا 12 محبوب لكل واحد⁽⁷⁾.

(1)- شدرى معمر، العلماء والسلطة، ص 63-64.

(2)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 297-298.

(3)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ص 326-327.

(4)- سعد الله، محاضرات...، ص 162.

(5)- Emerit, op.cit, p04.

(*) - حفاظا على السير الحسن للتعليم حاول بعض الحكام جعل الأجور ثابتة، مثل صالح باي الذي خصص لمدرّس مدرسة سيدي الكتاني 30 ريالا شهريا، و 6 ريالات للطلبة المتدربين به (Vayssette, op.cit, p135.) ومدرس الجامع الكبير بقسنطينة يتقاضى 48 ريال شهريا (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...ج1، ص328).

(6)- سعد الله، محاضرات، ص 162-163.

(7)- أحمد الشريف الزهار، مذكرات نقيب أشرف الجزائر، تقديم أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م، ص 83.

والظاهر أن وظيفة المدرس كان التنافس عليها أقل مقارنة بالإفتاء والقضاء⁽¹⁾، فهي مهنة لم يكن يرغب فيها كثيرا؛ لأنها مهنة متعبة غير مربحة، فالمدرس كان يعيش الكفاف، وبما أن مورده كان غير قار ولا آمن لجأ بعضهم إلى الاعتماد على مصادر رزق أخرى⁽²⁾، كالجارة أو استغلال الأراضي⁽³⁾.

د- المراكز التعليمية: في ما يخص المراكز التعليمية فقد كانت متنوعة ومختلفة في مناهجها ودروسها حسب كل مستوى، فنجد:

الكتاتيب؛ فالكتاب أو المسيد بالمدن و"الشريعة" بالريف⁽⁴⁾ مثلت المدرسة الابتدائية الابتدائية في وقتنا الحالي، أنشئت للحفاظ على نظافة المساجد وتجنبها ضوضاء الأطفال⁽⁵⁾، وقد عرفت انتشارا واسعا بالجزائر خلال هذه الفترة، بحيث بلغ عددها نحو 3 آلاف كتاب⁽⁶⁾، مدينة الجزائر وحدها ضمت حوالي مائة كتاب حسب "الجامعي الفاسي" الذي أشار في رحلته أنه «كان بهذه الحاضرة نحو مائة مكتب مليء بالأولاد، حيث أنّ المحل لا يسع للتلاميذ يجعلون فيه سدّة يصعدون عليه الدرج يتعلمون القراءة والكتابة ويحفظون القرآن العظيم»⁽⁷⁾.

أما المساجد فكانت منتشرة بكثرة، منها مساجد الخطبة الخاصة بصلاة الجمعة والعيدين، ومنها المساجد التي تؤدي فيها الصلوات الخمس، وغالبا ما تنسب هذه المساجد إلى مؤسسها؛ لأن بناءها كان نتيجة المبادرات الفردية⁽⁸⁾، وقد ذكر بعضهم وجود 12 مسجدا جامعا وعددا من المساجد الصغيرة أشهرها وأكثرها أوقافا الجامع الكبير⁽⁹⁾، ومنهم ذكر أن عددها بلغ 13 جامع خطبة و109 مسجدا⁽¹⁾، وهناك من ذكر

(1)- شجري معمر رشيدة، السلطة الروحية...، ص58.

(2)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ص317.

(3)- للمزيد حول أجور العلماء، ينظر: شجري معمر رشيدة، العلماء والسلطة.

(4)- العيد مسعود، حركة التعليم...، ص61-62.

(5)- بوعزيز، أوضاع المؤسسات...، ص15.

(6)- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص62.

(7)- أشرف صالح محمد السيد، "المراكز الثقافية في دار السلطان الجزائر أواخر العصر التركي" أمريكاك، مجلة علمية عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، العدد 07، 2013م، ص68.

(8)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ص245-247.

(9)- Venture (De .P), Op.Cit, p215.

أن بها 14 جامع خطبة. أما قسنطينة عهد صالح باي فكان بها 75 مسجدا وجامعا، و07 مساجد خارج المدينة⁽²⁾، منها 05 جوامع للخطبة في القرن 18م⁽³⁾، في حين بلغ عدد مساجد عنابة 37 مسجدا أشهرها مسجد "سيدي مروان"⁽⁴⁾، كما استفادت حواضر الغرب الجزائري من إصلاحات الباي محمد الكبير العمرانية والثقافية، الذي شيد المسجد الكبير بمعسكر المعروف باسمه. ونجد كذلك مسجد السوق والمسجد العتيق، في حين بلغ عدد مساجد تلمسان ما بين 50 و60 مسجدا⁽⁵⁾.

أما الزوايا فقد احتلت الصدارة بين مراكز الثقافة والتعليم خاصة بالأرياف⁽⁶⁾، نتيجة غياب المؤسسات التعليمية الأخرى، فقد أحصى "دوفو" سنة 1830م بمدينة الجزائر 32 ضريحا و12 زاوية⁽⁷⁾. أما مدينة قسنطينة فقد وجدت بها 16 زاوية أشهرها زوايا الأسر العلمية مثل: زاوية أولاد الفكون، وزاوية بن نعمون، وزاوية أولاد جلول. وبلغ عدد زوايا تلمسان أكثر من 30 زاوية، أشهرها زاوية عين الحوت، وزاوية جبل بني راشد التي تخرج منها عدد من العلماء والفقهاء⁽⁸⁾.

والملاحظ أن منطقة الزواوة تعد أغنى المناطق بالزوايا، حيث وصل عددها إلى 50 زاوية أشهرها زاوية "تيزي راشد" المعروفة بزاوية "ابن أعراب"، وزاوية سي علي الشريف بأقبو، وزاوية آث منصور ببني جناد، وزاوية الأزهرى بآيت إسماعيل⁽⁹⁾، إضافة إلى هذا انتشر في المنطقة نوع من المعاهد الدينية يشبه الزوايا يدعى المعمرات، التي تشبه أحيانا الكتابيب القرآنية وأحيانا تشبه الزوايا غير الخلواتية^{(10)(*)}.

(1)- Devoulx (A.), Les édifices religieux de l'ancien Alger, bastide, Alger, 1870, p03

(2)- شدرى معمر، العلماء والسلطة...، ص53.

(3)- الورثيلاني، المصدر السابق، ص685

(4)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص249.

(5)- شدرى معمر، العلماء والسلطة...، ص54.

(6)- محمد سي يوسف، نظام التعليم...، ص193.

(7)- Devoulx, Les édifices..., p03.

(8)- شدرى معمر، العلماء والسلطة...، ص57.

(9)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص265-266.

(10)- بوعزيز، أوضاع المؤسسات، ص20.

هذا دون أن نغفل زوايا الصحراء، كزاوية عين ماضي التي وصل تأثيرها حتى الحدود الجزائرية المغربية، وزاوية القادرية بالقيطنة، وزاوية طولقة⁽¹⁾... التي كان لها تأثير بارز على الحياة الثقافية والاجتماعية، بحيث استطاعت أن تضم مختلف فئات المجتمع، كما شكلت الملاذ الآمن ضد الغزو المسيحي ثم ضد السلطة العثمانية فيما بعد.

أما المدارس فقد عرفت انتشارا واسعا خلال العهد العثماني في مختلف حواضر الجزائر⁽²⁾ أين قامت بنفس الدور الذي كان للزوايا في الريف، فمدينة الجزائر وحدها كانت بها 229 مدرسة، يدرس بها 5583 تلميذاً⁽³⁾، منها المدرسة القشاشية التي أشاد بها أبوراس الناصري واعتبرها مركزاً للتعليم العالي⁽⁴⁾. أما أشهر مدارس قسنطينة فهي المدرسة الكتانية التي أسسها صالح باي عام 1190هـ/1776م لتعليم مختلف العلوم، وقد جعل لها نظاما خاصا، كما أنه أسس عدة مدارس في "عناية وجيجل" وكان يلحق بكل مدرسة مسجدا وكتابا ومكتبة⁽⁵⁾. وقد قدر البعض عدد المدارس بها عند الاحتلال الفرنسي بـ 90 مدرسة⁽⁶⁾، وذكر آخرون أنها بلغت 86 مدرسة يدرس بها 1350 تلميذاً. أما تلمسان فقد وجدت بها 50 مدرسة صغيرة مخصصة لـ 12000 أو 15000 نسمة⁽⁷⁾، إضافة إلى مدرستين للتعليم العالي وهما: مدرسة الجامع الكبير ومدرسة أولاد الإمام⁽⁸⁾، يتردد عليهما حوالي ألفي تلميذ و600 طالب⁽⁹⁾، وتعتبر المدرسة المحمدية في معسكر أكبر مدارس البايك، التي أشار إليها "ابن سحنون" بقوله: "كاد العلم أن يتفجر من جوانبها"⁽¹⁰⁾.

(*) - يخضع المنتمون إليها لقوانين داخلية محكمة وينقسمون إلى طبقات: القداش ثم الطلبة، ثم المقدمون والوكلاء والشيخوخ الكبار، وهم أعلى طبقة يرأسها شيخ مسن يساعده عدد من كبار الطلبة والمقدمين والوكلاء وهي المسؤولة عن تسيير المؤسسة - سي يوسف، نفسه، ص 194

(1)- مسعود العيد، المرجع السابق، ص 63.

(2)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 274.

(3)- ايفون توران، المرجع السابق، ص 137.

(4)- الناصري، المصدر السابق، ص 48.

(5)- شكري معمر، العلماء والسلطة، ص 59.

(6)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ص 276.

(7)- Emerit, op.cit..., p04.

(8)- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص 276.

(9)- ايفون توران، المرجع السابق، ص 139.

(10)- ابن سحنون، المصدر السابق، ص 127.

إضافة إلى هذه المراكز التعليمية وجد الرباط؛ وقد اشتهرت الأربطة بحراسة الثغور وهذا منذ أوائل الفتح الإسلامي، وازدادت أهميتها عندما تكالبت الأطماع المسيحية على شواطئ المغرب الإسلامي. فبالإضافة إلى كونها مركزا لحراسة الحدود والجهاد، كانت تقوم كذلك مقام المؤسسات التعليمية، حيث انقسمت حياة المرابطين بها بين العمل العسكري والتعلم والتفقه في الدين تحت قيادة شيوخ وعلماء^(*)؛ فيكون الطلبة جنودا وعلماء في نفس الوقت⁽¹⁾. والملاحظ أنها لم تكن تابعة لأي طريقة بل كانت متفتحة على كل التعاليم الصوفية والمجاهدات الروحية، وكانت عامرة ودائمة الحركة، يقصدها الكثير من العلماء بغرض التعلم والتعليم⁽²⁾.

وبهذا فالأربطة لعبت دورا مهما في الحياة الثقافية إلى جانب دورها الدفاعي العسكري، حيث برزت كمؤسسة عسكرية ودينية، تأسست بالدرجة الأولى من أجل الدفاع عن الحدود مع أدائها وظيفة التعليم، وبعد انتهاء الغزو الأجنبي تحولت إلى مؤسسة دينية أخرى وهي الزاوية.

خاتمة:

من خلال ما سبق نستنتج أن المؤسسات التعليمية كانت كثيرة ومتنوعة، كما أن التعليم كان منتشرا على نطاق واسع، إلا أنه بقي تقليديا، لم يتعد مستوى التعليم الابتدائي، نتيجة عدم اهتمام السلطة به، إضافة إلى سيطرة التصوف الشعبوي الذي يدعو إلى طاعة الشيخ طاعة عمياء، ويرفض التجديد واستخدام العقل، كل هذا جعل الجزائر تفتقر لمعهد عالي يضاهي المعاهد الإسلامية الكبرى، كالأزهر والزيتونة وغيرها، وهذا ما جعل مستوى التعليم العالي في الجزائر يكاد يكون منعدما.

المراجع

المراجع العربية:

- (*) - مثل رباط الفتح، الذي أحياه الباي محمد الكبير عام 1792م، وجعل التعليم مقتصرًا على الرباط، وهذا تشجيعا منه للالتحاق به من أجل الجهاد، ويرأسه الشيخ محمد بوجلال. وقد شارك فيه عدة علماء منهم: الطاهر بن حواء ومحمد المصطفى بن زرفة. -ابن سحنون، المصدر السابق، ص233.
- (1) - سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص272.
- (2) - الورثياني، المصدر السابق، ص18.

- 1- ابن الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تج. وت. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987م.
- 2- ابن سحنون الراشدي أحمد، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق. وتقديم المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، 1979م.
- 3- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 07.
- 4- ابن ميمون الجزائري محمد، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- 5- بوعزيزي، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م، ج 1.
- 6- التمرغوطي علي بن محمد الجازولي، النفحة المسكية في السفارة التركية 1589، تقديم سليمان الصيد، دار بوسلامة، تونس، 1988م.
- 7- ثوران ايفون، مجاهبات ثقافية في الجزائر المستعمرة (1830-1850م) ترجمة محمد عبد الكريم اوزغلة، دار القصبة، الجزائر، 2005م.
- 8- الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط2، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965، ج 1.
- 9- حليبي عبد القادر، مدينة الجزائر ونشأتها وتطورها قبل 1830م، المطبعة العربية، الجزائر، 1972م.
- 10- الزهار أحمد الشريف، مذكرات نقيب أشرف الجزائر، تقديم أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972م.
- 11- سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
- 12- سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط3، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ج 1.
- 13- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2008م، ج 1.
- 14- شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824م، تج. إسماعيل العربي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

- 15- عمورة عمارة، الجزائر بوابة التاريخ من ما قبل التاريخ إلى 1962م، ج2، دار المعرفة الجزائر، 2009.
- 16- العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية 1661-1663م، ط1، تحقيق. سعيد الفاضلي -سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2006م.
- 17- الكتاني أبو عبد الله بن محمد بن إدريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن اقبر من العلماء بفاس، تحقيق.عبد الله الكامل الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الرباط، المغرب، ج1، دون تاريخ.
- 18- المفتي حسين بن رجب، تقييدات بن المفتي، تحقيق فارس كعوان، بيت الحكمة، العلمة، الجزائر، 2009م.
- 19- الناصري أبو راس، عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ط1، تحقيق محمد بوركبة، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، تلمسان، الجزائر، 2011م.
- 20- الناصري محمد أبو راس، فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، تح. محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.
- 21- الورثيلاني الحسين، نزهة الأنظار في فصل علم التاريخ والأخبار، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، 1908م.
- 22- شجري معمر رشيدة، العلماء والسلطة العثمانية في الجزائر-فترة الدايات 1671-1830م-،رسالة ماجستير-تاريخ حديث-، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2006م.
- 23- شجري معمر رشيدة، السلطة الروحية والسلطة السياسية في الجزائر العثمانية "1518-1830م، أطروحة دكتوراه في تاريخ الحديث، جامعة الجزائر02، 2018م.
- 24- بوعزيزي، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين 19-20م"، الثقافة، العدد 63، 1981م، الجزائر.
- 25- سي يوسف محمد، "نظام التعليم في بلاد الزواوة بايالة الجزائر خلال العهد العثماني" الحياة الفكرية في الولايات العربية، مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، تونس، 1990م، ج1.
- 26- العيد مسعود، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، سرتا، قسنطينة.العدد 03، 1980م.

27- محمد السيد أشرف صالح، "المراكز الثقافية في دار السلطان الجزائر أواخر العصر التركي" أمازيك، مجلة علمية عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، العدد 07، 2013م.

28- مزيان عبد المجيد، "المؤسسات الثقافية في الجزائر قبل الاستعمار"، مجلة التاريخ، العدد 22، 1986م الجزائر.

المراجع الأجنبية:

29- Boyer(P), la vie quotidienne à Alger a la veille de l'intervention française, Imp, nationale Monaco, 1964.

30- Dumas (E), Mœurs et Coutumes de l'Algérie, Intrd. de Abdelkader djeghloul, Ed. ENEP, Alger, 2006.

31- Devoulx (A.), Les édifices religieux de l'ancien Alger, bastide, Alger, 1870.

32- Dr shaw, Voyage dans la régence d'Alger, trad de l'Anglais par J.Mac.Carthy 2ème ed. Bouslama, Tunis, 1980.

33- Saidouni Nacereddine, L'algérois rural à la fin de l'époque ottomane de (1791-1830), Dar al-Gharb al-Islami, Beyrouth, 2001.

34- Tachrifat, recueil de notice historique sur l'administration de l'ancien régence d'Alger, pub par Devoulx imprimerie du gouvernement, Alger, 1852.

35- Venture de paradis, Alger au XVIII^e siècle (1788-1790), éditions grand livres, Alger, 2006.

36- Vayssettes (E), Histoire de Constantine sous la domination Turque de 1517 à 1837 présentations de Ouarda Siari Tengour, Ed Bouchene, Alger, 2002.